التطوّر الدلاليّ للفظة (غَزْو) ومشتقاتها في التراث العربيّ والإسلاميّ مُقاربة لغويّة تاريخيّة

The semantic development of the word (invasion) and its derivatives in the Arab and Islamic heritage

Historical linguistic approach

م. د. أحمد حسن منصور الغانمي

Dr. Ahmed Hassan Mansour Al-Ghanmi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلاميّة

University of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الدلالة، التطوّر الدلاليّ، التغيّر الدلاليّ، الغَزْو، الاشتقاق.

Keywords: Semantic, Semantic development, Semantic change, Invasion, Derivation.

الملخّص:

تشغلُ بعضُ الألفاظ حيزًا من الاستعمال اللغوي أكثر من غيرها، والدّارسُ أو المهتمُّ يجد لها حضورًا يفوق حضورَ ألفاظٍ أخرى، ومن تلك الألفاظ لفظة (غَزْو) التي لها نصيبٌ من التردُّد في الخطاب اليوميّ. غير أنّها متى ما أُطلِقتْ أحسَّ السامع معها بشيء من النفور، على الرغم من أنّ بعض مشتقاتها يحمل معنًى ساميًا متمثّلًا في الجهاد في سبيل الله.

ومن هنا التفتَ الباحثُ إلى أهميّة دراسة التّطوّر الدّلالي الذي أصابَ هذه اللفظةَ ومشتقّاتها، دراسةً تاريخية تهدفُ إلى الوقوفِ على التغيّرات التي مرّت بها اللفظة ومشتقّاتها عبر الأزمان.

وقد وُصِفَتْ هذه الدّراسة بأنّها (مُقارَبة)، وفي ذلكَ إشَارة إلى أنّها محاولةٌ غايتُها الوصول إلى الحقيقةِ، أو الاقتِراب منها.

Abstract:

Some words occupy a space of linguistic use more than others, and the student or the interested person finds a presence that exceeds the presence of other words, and among these words is the word (invasion), which has a share of hesitation in the daily discourse. However, when it was released, the listener felt certain repulsion with it, even though some of its derivatives carry a lofty meaning represented in jihad for the sake of God.

Hence, the researcher turned to the importance of studying the semantic development that affected this word and its derivatives, a historical study that aims to identify the changes that the word and its derivatives have undergone over time.

This study has been described as an approach, indicating that it is an attempt to reach the truth, or get close to it.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

إنّ بعضَ الألفاظ تعيش في حياة النّاس بحيويّة أكثر من غيرها، والدّارسُ أو المهتمُّ يجد لها حضورًا في الاستعمال يفوق حضورَ ألفاظٍ أخرى، ومن تلك الألفاظ لفظة (غَزْو) التي لها حظٌّ من التردُّد في الخطاب اليوميّ. ولكنّها متى ما أُطلِقتْ أحسَّ السامع معها بشيء من النفور، على الرغم من أنّها تحمل في مجموع دلالاتها معنًى ساميًا متمثّلًا في الجهاد في سبيل الله؛ ومن هنا التفتَ الباحثُ إلى أهميّة دراسة التّطوّر الدّلالي الذي أصاب هذه

اللفظة ومشتقّاتها، فجاءَ هذا البحث ليَحمل عنوان: (التّطوّر الدّلالي للفظة (غَزْو) ومشتقاتها في التّراث العربيّ والإسلاميّ– مُقارَبة لغويّة تاريخيّة).

وقد بدأ الباحثُ بعد مقدّمته هذه بمبحث تمهيديّ عرض مفهوم التّطوّر الدّلاليّ وأشكاله، وأجاب عن سؤالين مهمّين، فيهما تكمُنُ محورية البحث، ثمّ تلَتْ ذلكم المبحث مباحث خمسة، وُسِم أولها بـ(التأصيل اللغوي للفظة (غَزْو) ومشتقّاتها في الاستعمال القديم)، وثانيها بـ(الاستعمال القرآني للفظة (غَزْو) ومشتقّاتها)، وثالثها بـ(لفظة (غَزْو) ومشتقّاتها في التّراث الحديثيّ)، ورابعها بـ(لفظة (غَزْو) ومشتقّاتها في المنظومة المعرفيّة والاصطلاحيّة الإسلاميّة)، وأمّا المبحث الخامس فقد كان عنوانه: (لفظة (غَزْو) ومشتقّاتها في الاستعمال الحديث). ثمَّ أعقبنا ذلك كلّه بخاتمة حَوَتْ أهمّ النتائج، متلوّة بمصادر البحث ومراجعه.

وإذ وُصِفَتْ هذه الدّراسة بأنّها (مُقارَبة) ففي ذلك إشارة إلى أنّها محاولةٌ غايتُها الوصول إلى الحقيقةِ، أو الاقتِراب منها، فإنْ أكنْ أصبتُ فذلك ما أبغي، وإن كانَت الأخرى فالعذرُ عند كِرام الناسِ مقبول، والحمد لله أولًا وآخرًا.

المبحث التمهيديّ: مفهوم التّطور الدلاليّ وأشكاله:

ينمازُ الفكرُ الإنسانيُّ بالتغيّر الدائم والتحوّل المستمر، ونتيجة لذلك تتأثر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة على هذا الفكر؛ ولأن اللغة وألفاظها هي أداة التعبير الحقيقية عن هذا الفكر؛ ولأنَّ اللغةَ ظاهرةٌ اجتماعية؛ لذلك فهي عرضةٌ للتّطوُرِ والتغيُّر في مختلف مستوياتها: أَصواتِها، وتَراكيبِها، ودلالاتِها، على الرَّغم مِن أَنَّ تطوُّرَها قد يبدو بطيئًا في بعض الأحيان، فهي تشبه الكائن الحيّ الذي ينمو ويتطوَّر شيئًا فشيئًا[1].

فـ((الحقيقة العلميّة الّتي لا مراء فيها اليوم هي أنَّ كلّ الألسنة البشريَّة ما دامت متداولة فإنّها "تتطور"، ومفهوم التّطوّر هنا لا يحمل شحنة معياريَّة لا إيجابًا ولا سلبًا، وإنَّما هو مأخوذ في معنى أنّها تتغيّر، إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدّل نسبيّ في الأصوات والتركيب من جهة، ثمَّ في الدلالة على وجه الخصوص، ولكنّ هذا التّغيّر هو من البطء بحيثُ يخفى عن الحس الفردي المباشر))[2].

وبناء على ذلك فلا يمكن أن نفهم من لفظ (التطور) أنَّ اللغة –والدلالة على وجه التحديد– تتجه نحو الأفضل دائمًا في مسارها التطوريَّ، بل المقصود أنها تنتقل من طورٍ إلى طورٍ، ((فربما لا تتطور اللغة نحو مستوى متقدم رفيع، بل تنزل إلى درك من التغير والتبدل تبعًا للمستوى الحضاري والثقافي الذي عليه الأمَّة))[3].

وتغيُّرُ المعنى أو التّطوّر الدّلالي إنما هو جانبٌ من جوانب التَّطَوّرِ اللغوي، والمقصود به ((التغير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن، وتبدُّل الحياة الإنسانية، فينقلها من طَوْر إلى طَوْر آخر))[4]. وفي هذه الأطوار ((قد تنتقل الكلمة من معنى إلى آخر، أو تضيف إلى معناها معنى آخر جديدًا دون أن تترك الأول، فتتعدد بذلك المعاني التي تدل عليها وتستعمل في أي واحد منها على حسب الأحوال والمقامات))[5].

وربما حصل لمعنى الكلمة إعلاءٌ و رِقِيٌّ في الدلالة، أو انحطاط وضعف فيها، أو توسّع وتعميم، أو انحسار وتضييق، أو مجاز، أو نحو ذلك، فهذه كلها مظاهرُ وأشكال للتغير الدلالي، ودراسة هذه الأشكال والمظاهر يعدّ جانبا مهما من جوانب علم الدلالة التاريخي[6].

ولأن أشكال التطور الدلالي هذه لها من الأهمية ما يجعلها ((جديرة بأن ترصد حركة الدلالة في دورانها مع ألفاظ اللغة بمرور الزمن))[7]؛ فذلك يستدعي منّا التعريف بها ولو على نحو موجز، فأشكال التطور الدلالي ومظاهره –بحسب ما يراه الباحثون– هي:

1. **تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى:** وهو ((تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها. وعرفه بعضهم بأنه تحديد معاني الكلمات وتقليلها))[8]، ومن أمثلته لفظ ((المُؤمِن: وهو المُصدِّقُ؛ ثمّ ضاق مجال استعماله، فأصبح يطلقُ على مَنْ آمَنَ بالله تعالى ورسوله ورسالة الإسلام التي جاء بها، من غير ارتياب))[9].
2. **تعميم الدلالة أو توسيع المعنى:** وهو مظهر مخالف للتخصيص ويسير عكس اتجاهه، ويعني ((تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، وبه تصبح الكلمة تدلّ على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل))[10]، ومثاله كلمة (البأس) التي كانت في أصل معناها تطلق على الحرب، ثم توسعت دلالتها فأصبحت تطلق على كل شدة[11].
3. **انتقال الدلالة:** ويوسم بـ(تغير مجال الاستعمال)[12]، وهذا الشكل من التطور ((يمتاز عن سابقيه بأن الدلالة فيه تنتقل من مجال إلى آخر، وهي لا تنكمش فيتضاءل المحيط الذي تتحرك فيه بعد اتساع وعموم، ولا يتحول مجالها كذلك من ضيق وخصوصية إلى تعميم وشمول لما ليس لها من قبل))[13]، فما من تخصيص ولا تعميم هنا، ولكن اللفظ ينتقل من دلالته على شيء في مجال معين، إلى الدلالة على شيء آخر في مجال آخر[14]. وأوضح مصداق لهذا المظهر حين ((تنتقل دلالة اللفظ من معناه الحسّي إلى المعنوي [وذلك] عندما ترتقي اللغة برقي أصحابها ثقافيًا وفكريًا، فالألفاظ إنما تطلق أول الأمر لتسمية الأشياء والموجودات الحسية والمادية التي تحيط بعالم الناطقين، وبمرور الزمن تتغير دلالة بعض الألفاظ إلى التعبير عن الأفكار أو الصفات المعنوية))[15]، ومن أمثلة ذلك ((لفظ (الشكّ) الذي يدلّ في أصل الوضع على معنى حسّي هو الوَخْز بشيءٍ دقيق والغَرْز كقولهم: شَكَكْتُهُ بالرُّمْح، وذلك إذا طعنْتُهُ فدَاخَلَ السِّنَانُ جسمَهُ... فمن المعنى الحسّي انتقل إلى معنى مجرّد هو خلاف اليقين))[16].
4. **رقيّ الدلالة وسموّها:** ويقصد به تحوّل ((الكلمات التي كانت تدل في الأصل على معانٍ وضيعة أو ضعيفة نسبيًا أو عادية، إلى كلمات تدل في نظر المجتمع على معانٍ أرفع وأشرف أو أقوى، وهو تحول يرتبط بالقيم الاجتماعية، وقد يرتبط بتغير المسمى نفسه إلى حالة أرقى ممّا كان عليه))[17]، ويمكن التماس مصداق هذا المظهر في كلمة (رسول)، فقد كانت تعني الشخص الذي يرسل في مهمةٍ ما، ثم صارت لها هذه الدلالة السامية التي نألفها الآن[18].

5. **انحطاط الدلالة:** وهذا الشكل من أشكال التطور الدلالي يتحرك في اتجاه معاكس للمظهر السابق[19]، وفحواه أن ((بعض الكلمات التي تدل على معانٍ شريفة أو قوية أو معانٍ عادية قد تكتسب –في نظر الجماعة– معاني تتحاشاها، وتنفر منها... [ف]كلمة (الاحتيال) كان معناها البحث وبذل الجهد للوصول إلى هدف ما، ثم تحولت – في عصرنا– إلى معنى الخداع للوصول إلى مآرب شخصية، وهذا مستقبح في عرف الجماعة))[20].

هذه أهم مظاهر التطور الدلالي التي تصيب الألفاظ، وسيحاول البحث دراسة التطور الدلالي للفظة (غَزْو) ومشتقاتها، ملتمسًا ما تجلّى من تلك المظاهر. ولكن قبل الشروع بذلك نرى من الضرورة بمكان الإجابة عن سؤالين مهمّين:

الأول: لماذا لفظة (غَزْو) دون غيرها؟

يسجل لنا الاستعمالُ اللغوي لكلمة (الغَزْو) أو إحدى مشتقاتها –اليوم– معنيين اثنين بارزين، أوّلهما: الغازي اسم فاعل من غَزَا، وتعني: المجاهد المحارب في سبيل الله. والآخر: الغَزْوُ مصدر غَزَا، ويعني: سيطرة قوات مسلحة أجنبية على دولة أو منطقة، وغزا العدوَّ: هاجمه، وسار إلى قتاله في أرضه[21]، وكثيرا ما ترافق هذه السيطرة حالاتٌ من النهب والسلب لثروات البلد المسيطر عليه.

وغيرُ خافٍ أن الدلالة الأولى (الجهاد في سبيل الله) لها من السموّ والرفعة ما يجعلها معنًى راقيًا في العرف الاجتماعي. في حين تحمل الدلالة الثانية من الشحنات السلبية ما يجعل الذهن ينفر من معناها غير المرغوب به. وبعبارة أخرى فإن الدلالة الثانية تعدّ واحدة من مصاديق انحطاط المعنى.

ويبدو أن المعنى الثاني أو الدلالة الثانية من دلالات الغزو (وهي السيطرة والاحتلال) هي الأسرع تبادرًا والأقرب حضورًا إلى الذهن إذا ما أُطلقت اليوم، بل تكاد تلقي بظلالها على المعنى الأول الذي يدل على الجهاد والقتال في سبيل الله؛ لذا فنحن بحاجة ماسة إلى تتبع مسيرة حياة اللفظة تاريخيا، والنظر في مراحل تطورها الدلالي، وما لحق بها من دلالات عبر الزمن.

والسؤال الثاني: لماذا الاتّساع وشمول مشتقات اللفظ بالدراسة؟

يطيبُ لنا أن نقدّم –بين يدي الجواب– لمحةً عن مفهوم الاشتقاق ننفذُ منها للوصولِ إلى مبتغانا، فالاشتِقاق في اللغة ((أَخْذُ شِقِّ الشَّيْءِ وهو نِصْفُه))[22]، وأما في الاصطلاح فهو ((أَخذ كلمة من أُخْرَى بتغيير مَا مَعَ التناسب فِي الْمَعْنى))[23].

وقد ميّز علماء العربية القدامَى بين نوعين من الاشتقاق، أحدهما وسمُوه بالاشتقاق الكبير – أو الأكبر على حدِّ اصطلاح ابن جنيّ–. ولمّا كان هذا النّوع لا يمتُّ بصلة لفكرة البحث اكتفينا بالإشارة إليه في

الهامش[24]. وأما الثاني فهو ما وُسِم بالاشتقاق الصغير أو الأصغر، ومفادُهُ ((أَخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصلية، وهيئةَ تركيب لها؛ ليُدلّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة؛ كضَارِب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِر... [فـ]ضارب، ومضروب، ويَضْرب، واضْرِب... كلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها، وهذا هو الاشتقاق الأَصْغَر المحتجُّ به))[25].

غير أن هذه التصاريف أو المشتقات –أعني مشتقات الكلمة الواحدة– تظلُّ على اختلافها تدور في فَلَكِ دلالةٍ محوريةٍ جامعةٍ تربط بين معاني الكلمات المشتقّة من الأصل الواحد، وهذا ما أكّده علماء العربية قديمًا وحديثًا، إذ يقول ابن جنّيّ: ((الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير. فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلًا من الأصول فتتقرَّاه فتجمع بين معانيه, وإن اختلفت صِيَغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرّفه))[26]، والفكرة نفسها نجدها عند الدكتور صبحي الصالح في قوله: ((وأهم ما في الاشتقاق الأصغر ارتداد التصاريف المختلفة المتشعبة عن المادة الأصلية، إلى معنى جامع مشترك بينها، يغلب أن يكون معنى واحدًا لا أكثر))[27].

وخلاصة القول: إن الكلمات العربية تأتلفُ في مجموعات وعوائل، تنماز كلّ مجموعة أو عائلة بأمرين اثنين: أولهما الاشتراك في الحروف الأصول، وثانيهما الاشتراك في معنًى عامّ يسودُ أفرادَ المجموعة، ومهما تفرّدتْ كلُّ كلمة من هذه المجموعة بمعنًى خاصّ ينشأ لها عن صيغتها الصرفية، إلا أن المعنى العامّ (الأصلي) يبقى ملقيًا بظلاله عليها[28].

ونظنُّ أنّ في ما تقدّم إجابة عن السؤال المتصدِّر للفقرة، ويسوغ لنا بعد ذلك أن نحيطَ مشتقاتِ لفظة (غَزْو) بالدراسة؛ لأنها وإن اختلفت في الدلالات الجزئية الناشئة عن صيغ الكلمات واشتقاقاتها، غير أنها تبقى تحت رابطٍ دلاليٍّ جامعٍ، أعني به المعنى العامّ المحوري.

المبحث الأول: التأصيل اللغوي للفظة (غَزْو) ومشتقاتها في الاستعمال القديم:

إنَّ الرجوع إلى المعجمات اللغوية يوقفُنا على أصل دلالة المادة، فـ((الغين والزاء والحرف المعتل أصلانِ صحيحان، أحدهما طلب شيء، والآخر في بابِ اللِّقاح. فالأوَّل الغَزْو. ويقال: غَزَوت أغزو. والغازي: الطَّالِبُ لذلك))[29]، و((غَزَا الشيءَ غَزْوًا: أَرادَه وطَلَبَه. والغِزْوَة: ما غُزِي وطُلِبَ، قال ساعدة بن جُؤَيّة[30]:

– لَقُلْتُ لدَهْرِي: إنه هو غِزْوَتي وإنّي وإن أَرْغَبْتَني غيرُ فاعِلِ))[31]

فقوله: (هو غزْوَتي)، معناه: الذي أغْزُو وأَطْلُب[32].

إذن فالأصل اللغوي لمادة (غزو) يدل على الطلب، ولعلّ أولى مطالب الإنسان وأهمّها هي حاجاته المادّيّة من مأكلٍ ومشربٍ وغير ذلك، فإن لم تكن بين يديه سعى في طلبها ونيلها بشتى الوسائل.

ولما كان عربُ ما قبل الإسلام يعيشون في شبه جزيرة صحراوية لا زرع فيها، فالناظر ((لحياة العرب قبل الإسلام لاسيّما سكان البادية يرى أنهم قد أُجْبِروا على خوض الحروب بسبب شظف العيش وقلة مورده، بحيث أصبح الغزو والغارة على الآخرين شيئًا مألوفًا))[33]، بل صار ((الغزو بأي صورة من صوره... أمرًا طبيعيًّا لا فرق فيه بين أن يقوم به فرد واحد أو أفراد ما دامت الغاية واحدة وهي الغنيمة أو الثأر أو كلا الأمرين معا))[34]، فـ((العادة أن القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندها من مال ورزق. فتغزوها لتستولي على ما طمعت به، وقد تنجح وقد تفشل وتخسر. والقبائل الضاربة على أطراف الحضارة تطمع في الحضر؛ لما عندهم من رزق حرمت منه، من رزق وافر ومن ماء ومن وسائل عيش رغيدة، فتغزوهم))[35].

ومن هنا ارتبط مفهوم الغزو بحمل السلاح والإغارة، وصار دالًّا على ((السير إلى قِتالِ العَدُوِّ وانْتِهابه، [يقال:] غَزاهُم غَزْوًا وغَزَوانًا... وغَزاوةً، قال الهذلي[36]:

– تقولُ هُذَيْلٌ: لا غَزاوة عندَه بَلَى غَزَواتٌ بَينَهُنّ تَواثُبُ))[37]

وقد أشار القرآن الكريم إلى المعاهدات التي كانت تعقدها قريش مع بعض القبائل لغرض حماية قوافلها التجارية من الغُزاة وقطّاع الطرق، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ} {قريش/1–4}. فالمقصود بـ(رحلة الشتاء والصيف) هو ((خروج قريش من مكة للتجارة وذلك أن الحرم وادٍ جديب لا زرع فيه ولا ضرع فكانت قريش تعيش فيه بالتجارة، وكانت لهم في كل سنة رحلتان للتجارة: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام، وكانوا يعيشون بذلك))[38]، وقد ((تعاملوا مع الأعراب، وعقدوا الإيلاف مع ساداتهم ومع الفرس والروم والحبش، فصاروا يخرجون إلى خارج مكة بأمان بفضل العقود والعهود التي عقدوها مع سادات الأعراب، وهي أهم... من أي عقد آخر عقدوه مع حكّام العراق وبلاد الشام أو اليمن، إذ كان في استطاعة الأعراب نهب قوافل مكة وسلب أموالها، وهي ذاهبة أو آيبة محملة، فلا يستطيع أهل مكة فعل شيء، ولا تبقى أية فائدة عندئذ لعقود الإيلاف المعقودة مع الحكّام المذكورين. وقد علم سادة مكة ذلك، فتعاقدوا مع سادات الأعراب، وأدّوا لهم نصيبًا من الربح، وبذلك أمنوا جانب أعرابهم، فكانوا إذا تحرّش بهم متحرّش، أدّبه سادة قبيلته، واستعادوا منه ما أخذه من نهب وسلب))[39].

إذن، فالمعنى العام (الأصلي) للمادة وهو الطلب قد اجتمعت معه –في هذه الحقبة من حياة اللفظة– سماتٌ معجميّة تمثّلتْ في حمل السلاح وقصد العدو وانتهابه. وهذه السمات جاءت نتيجة استعمال الكلمة في البيئة العربية القديمة، ولا شكَّ في ((أن للبيئة أثرًا مباشرًا في الدلالة اللفظية وتغيرها واكتسابها دلالة جديدة))[40].

ومهما يكن من أمرٍ، فإن حمل السلاح والإغارة على الأعداء وغزوهم يحتاج إلى شجاعة وبسالة، كما أن ما يقوم به الغازي من بطولات وحملات تجعله موضع فخرٍ لنفسه ولقبيلته، من هنا التحقَ بمفهوم الغزو معنى

جديدٌ مضافاً إلى ما سبق وهو الفخر والمنقبة، فالمَغَازي تعني: ((مَناقِبهم وغَزَواتهم))[41]، أي إنَّ ((المَغازِي: مَناقِبُ الغُزاةِ... وتكون المَغازِي مَناقِبَهُم وغَزَواتِهِم... وقد جاء الغَزْوَة في شعر الأَعشى[42]، قال:

– وفي كلِّ عامٍ أَنت حاسمُ[43] غَزْوةٍ تَشُدُّ لأَقْصاها عَزِيمَ عَزائكا))[44]

فالشاعر يعدد مآثر الممدوح ويخاطبه قائلا: ((لك في كل عام غزوة أنت جاشمها، تُجَمّع لها صبرك وجلدك، فتعود منها بالمال والمجد الذي يعوضك عما عانيت من البعد))[45].

وهنا يمكن لنا أن نسجل صعود مادة (غزو) أولى سلالم الرقي في الدلالة والانتقال بها من المعنى الحسّي إلى المعنى الذهني التجريدي من دون ترك المعاني السابقة[46]؛ فقد استعملت في معنى الفخر والتفاخر وتعداد المناقب، وهي من المعاني السامية في المجتمعات.

إن تتبّع مسير حياة اللفظة ومراحل تطورها ينبئ عن تحوّل دلالي آخر في معناها، إلا أنه لم يكن بعيدا عن تلك المعاني التي تقدّمت، فقد جاء في (جمهرة اللغة): ((والغَزو: معروف، غزا يغزو غَزْوًا، ثم كثر ذلك في كلامهم حتى قالوا: غزوتُ كذا وكذا، أي قصدته، وغَزْوي كذا وكذا، أي قصدي إليه))[47]، و((تقول للرجل: ما غَزْوَتُكَ أي: ما تعني بما تقول))[48]، و((مَغْزَى الكلام: مَقْصِدُه. وعَرفْتُ ما يُغْزَى من هذا الكلام أَي ما يُرادُ. والغَزْوُ: القَصْدُ... وغَزَا الأَمرَ واغْتَزاه كلاهما: قَصَدَه... وغَزْوِي كذا أَي قَصْدِي. ويقال: ما تَغْزو وما مَغزاك أَي ما مَطْلَبُك))[49]، ولعلّ هذا التحوّل الدلالي في معنى الغزو ينمُّ عن بداية التَّرف الفكري والثقافي للعرب قبل الإسلام، فتحوُّل الدلالة من مصاحبة الجانب العسكري –إذا صح التعبير– إلى جانب الخطاب والتواصل المدني بين المتخاطبين يشير إلى أن هناك استبطانًا للكلام يقوم به المتحدّث للإغماض على المخاطب، ولعلّ هذا الإغماض ناتج عن استعمال الأساليب البلاغية العربية من الكناية والمجاز وغير ذلك.

وهنا يمكنُ لنا أن نسجل انتقالًا آخر في دلالة اللفظة ومشتقاتها من الجانب المادي المحسوس إلى الجانب الذهني العقلي، فمقاصد الكلام معانيه، والمعاني أمور مجردة يدركها العقل.

المبحث الثاني: الاستعمال القرآني للفظة (غَزْو) ومشتقاتها:

وإذا انتقلنا إلى الاستعمال القرآني للمادة وجدنا أنها وردت مرة واحدة في القرآن الكريم[50]، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} {آل عمران/156}، وهي محددة بدلالة الخروج لحرب العدو، فـ((الغَزْوُ: الخُرُوجُ إِلى مُحَارَبَة العَدُّوِ، وَقد غَزَا يَغْزُو غَزْوًا، فهو غازٍ، وَجَمْعُهُ غُزاةٌ وَغُزَّىً. قال تعالى: {أَو كَانُوا غُزًّىً} {آل عمران/156}))[51]، ومعنى الآية كما يرصده المفسرون: ((نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في أقوالهم وأفعالهم فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا}... {وقالوا لإخوانهم} من أهل النفاق {إذا ضربوا في الأرض} أي سافروا فيها لتجارة

أو طلب معاش فماتوا... {أو كانوا غُزًّى} أي غزاة محاربين للعدو فقتلوا {لو كانوا} مقيمين {عندنا ما ماتوا وما قتلوا...))[52]، فـ((الْمُنَافِقُونَ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الْخَارِجَ مِنْهُمْ لِسَفَرٍ بَعِيدٍ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ} وَالْخَارِجَ إِلَى الْغَزْوِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {أَوْ كانُوا غُزًّى} إِذَا نَالَهُمْ مَوْتٌ أَوْ قَتْلٌ فَذَلِكَ إِنَّمَا نَالَهُمْ بِسَبَبِ السَّفَرِ وَالْغَزْوِ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ سَبَبًا لِتَنْفِيرِ النَّاسِ عَنِ الْجِهَادِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الطِّبَاعِ مَحَبَّةَ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ، فَإِذَا قِيلَ لِلْمَرْءِ: إِنْ تَحَرَّزْتَ مِنَ السَّفَرِ وَالْجِهَادِ فَأَنْتَ سَلِيمٌ طَيِّبُ الْعَيْشِ، وَإِنْ تَقَحَّمْتَ أَحَدَهُمَا وَصَلْتَ إِلَى الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ، فَالْغَالِبُ أَنَّهُ يَنْفِرُ طَبْعُهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَرْغَبُ فِي مُلَازَمَةِ الْبَيْتِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ مَكَايِدِ الْمُنَافِقِينَ فِي تَنْفِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْجِهَادِ))[53]، و((غُزًّى جَمْعُ غَازٍ... وَمَعْنَى الْغَزْوِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَصْدُ الْعَدُوِّ، وَالْمَغْزَى الْمَقْصِدُ))[54]، فالدلالة القرآنية تتوافق إلى حد كبير مع أصل دلالة المادة في الطلب والقصد، ودليلنا في ذلك التعاطف الحاصل بين الغزو (كانوا غُزًّى)، والضرب في الأرض الذي هو ((كناية عن السعي إمّا للتجارة أو طلبًا للمعاش أو لأغراض أُخرى))[55]، فالسعي من أجل التجارة أو العيش هو طلبٌ وقصدٌ ميدانه الحياة في جانبها السلمي، والغزو قصدٌ وطلبٌ في حالة الحرب.

ولا يجد الباحث ما يشير إلى ما يصاحب الغزو من انتهابٍ وسلبٍ وغنيمةٍ في النص القرآني الكريم، اللهمَّ إلا ظِلالا دلالية جادتْ بها أفهامُ بعض المفسرين فقال: ((﴿لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ معناه قالوا هذا القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا ونالوا العز والغنيمة فصار حسرة في قلوبهم... وقيل: معناه ولا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله تلك المقالة سببًا لإلزام الحسرة والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبة فيما أملوا من الموافقة، ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة))[56]. ويعضدُنا في رأينا المتقدّم –أي عدم وجود ما يشير إلى ما يصاحب الغزو من انتهاب وسلب وغنيمة في النص القرآني– ما فهمه وسجّله الراغبُ الأصفهاني من دلالة لفظ (غُزّى) في نصّه السابق الذي جاء فيه: ((الغَزْوُ: الخُرُوجُ إلى مُحَارَبَة العَدُوِّ، وَقد غَزَا يَغْزُو غَزْوًا، فهو غازٍ، وَجَمْعُهُ غُزاةٌ وَغُزَّىً. قال تعالى: {أَو كَانُوا غُزَّىً} {آل عمران/156}))[57]، فهو لم يجعل الغنيمة والانتهاب ضمن معنى الكلمة.

المبحث الثالث: لفظة (غَزْو) ومشتقاتها في التراث الحديثيّ:

إنّ مَن يتابع البحث في التراث الحديثي يلحظ تقييد معنى الغزو الدال على الخروج لمحاربة العدو بقيد النِّيَّة، فهذا الخروج يجب أن يكون منويّا فيه (سبيل الله) عز وجل؛ لذا نجد الحرص على تكرار التقييد بعبارة (في سبيل الله) في أغلب الأحاديث التي تتعرّض لمفهوم الغزو، فـ((عن الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن جبرئيل عليه السلام أخبرني بأمر قرّت به عيني وفرح به قلبي، قال: يا محمد من غزا غزوة في سبيل الله من أمتك فما أصابته قطرة من السماء أو صداع إلا كانت له شهادة يوم القيامة))[58]، و((عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعا موسى عليه السلام وأمّن هارون وأمّنت الملائكة، فقال الله تعالى: قد أجيبت دعوتكما فاستقيما، ومن غزا في سبيل الله أستجيب له كما

استجبت لكما إلى يوم القيامة))[59]، وبعبارات متقاربة ورد ((عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعا موسى وأمّن هارون وأمنت الملائكة، فقال الله سبحانه: استقيما فقد أجيبت دعوتكما، ومن غزا في سبيلي استجبت له إلى يوم القيامة))[60]، وجاء ((عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: من اغتاب غازيًا في سبيل الله أو آذاه أو خلفه بسوء في أهله نصب له يوم القيامة علم غدر فيستفرغ حسناته ثم يركس في النار))[61]، و((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ النَّاسِ رَجُلَانِ رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَهْبِطَ مَوْضِعًا يَسُوءُ الْعَدُوَّ، وَرَجُلٌ...))[62]، وعنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا))[63].

وأكثر من ذلك أن نجد بعض الأحاديث يُميَّزُ فيها بين الغزو والخروج في سبيل الله، والغزو من أجل مغنمٍ أو مطمعٍ دنيوي، فـ((عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أغزى عليّا[64] [عليه السلام] في سرية، وأمر المسلمين أن ينتدبوا معه في سريته، فقال رجل من الأنصار لأخٍ له: اغزُ بنا في سرية عليّ لعلّنا نصيب خادما أو دابة أو شيئا نتبلغ به، فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله) قولُه، فقال: إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند الله عز وجلّ فقد وقع أجره على الله عز وجلّ، ومن غزا يريد عرض الدنيا أو نوى عقالا لم يكن له إلا ما نوى))[65]، ومثله ما ورد عن ((عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ لَا يَنْوِي فِي غَزَاتِهِ إِلَّا عِقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى))[66]. ومن هذا نفهم حرص النبي (صلى الله عليه وآله) على إبعاد الدلالة المصاحبة لمفهوم الغَزْو، فالغنائم التي تنتج عن الغزو – مهما كانت– هي مكاسب مادّيّة ثانويّة لا يصحّ الخروج لأجلها.

ومن هنا نجد أن دلالة الغَزْو تقترب جدا –في المفهوم النبوي والإسلامي– من دلالة الجهاد في سبيل الله، إن لم تكن تتطابق معها، وحيث إن الجهاد في سبيل الله هو أمر مشروط بشرائط معينة في الفكر الإسلامي، وهي أن لا يبدأ المسلمون بقتال المخالفين إلا إذا أعلنوا الحرب على الله ورسوله، قال تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ} {البقرة/190}، وعدم الاعتداء هو شرط آخر يتفرع عنه عدم التعرض لغير أشخاص أعداء الإسلام، فلا يُعتدى على امرأة، ولا على شيخ، ولا على طفل، ولا تُقطَع شجرة... إلى غير ذلك من الوصايا النبوية للمجاهدين والمقاتلين؛ من هنا أصبحت دلالة الغزو تعني الجهاد (القتال) في سبيل الله.

ويتفق أحد الباحثين مع ما ذهبنا إليه آنفا فيقول: ((ودلالة الغزو على السير إلى الأعداء لقتالهم كانت معروفة في الجاهلية، وعند مجيء الإسلام ظهرت مفاهيم جديدة غير مألوفة تحتاج إلى ألفاظ لتعبر عنها، منها قتال الكفار في سبيل الله عزّ وجلّ، فلجأ العرب إلى ما ادَّخروه من ألفاظ للتعبير عن المعاني والتجارب الجديدة، فكانت لفظة الغزو تشترك دلاليًا مع المفهوم الجديد وإن حملَ خصوصية (في سبيل الله)... فأُطلقت عليه بجامع المشابهة، وهذا تخصيص دلالي وهو من مظاهر تطور دلالة الألفاظ في كلّ لغات العالم، إذ لا يبقى اللفظ

مستقرّا على دلالة محددة، بل يخضع للظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية))[67]. غير أنه (الباحث) يعتمد على حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) جاء فيه أنه: ((قال يوم فتح مكة: لا تُغْزَى قريشٌ بعدها))[68]، فينفرد برأي يقول فيه: ((زِيدَ على لفظ (الغزوة) ملمح قتال الكافرين، فقد روي في الحديث: قال يوم فتح مكة: لا تُغْزَى قريشٌ بعدها، أي لا تَكْفُر حتى تُغْزَى على الكُفْر، فالغزو يستلزم كفر المغزوّ، وهذه أيضا سمة جديدة حلّت على مادة (غزو) لم تكن موجودة))[69].

ولنا مع الرأي الأخير وقفة نقول فيها: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد سار إلى قتال اليهود من بني (قينقاع والنضير وقريظة) وكذلك قاتلهم في خيبر، وكل تلك المعارك كانت تسمى غزوات، واليهود من أهل الكتاب، الذين كانوا –بحسب ادّعائهم– يؤمنون بالله تعالى، ولم يكن كفرهم بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هو الباعث على قتالهم، ودليلنا على هذا الأمر وثيقة المدينة التي عقدها النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ ((كَتَبَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقَرّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ: بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ... وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ[70] إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِه))[71]، فهذا النص يؤسس للتعايش السلمي بين المسلمين واليهود. ولكن الباعث على قتالهم إنما هو نصبهم العداء للإسلام والمسلمين، ومناصرتهم أعداء المسلمين.

وعليه فالقول: (إن الغزو يستلزم كفر المغزوّ) إنما هو رأي يحتاج إلى إعادة نظرٍ وتأمّلٍ، ونرى أن دلالة الغزو في هذه الحقبة كانت محددة ومخصّصة بـ(السير إلى قتال العدو) منويّا فيه (سبيل الله) عز وجل. وهذا التخصيص قد أحدثه الإسلام للفظ الغَزْو كما أحدثه لألفاظ الصلاة والزكاة والصيام وغيرها، فلفظ الصلاة –مثلًا– كان قبل الإسلام يدلّ على الدعاء، ولكنه تخصّص في الإسلام بالعبادة ذات الهيئة المعروفة[72].

وقد استقرت دلالة لفظة (غَزْو) في أذهان المسلمين على هذا المعنى، أعني (السير إلى قتال العدو منويّا فيه سبيل الله)؛ وهذا الأمر يعلل لنا استعمال بعض النصوص لكلمة (الغَزْو) أو إحدى مشتقاتها من دون ذكر قيد (سبيل الله)، فقد رُوِيَ ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا))[73]، كما ورد ذلك في بعض خطب أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، فـ((مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اَلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ اَلْجَنَّةِ فَتَحَهُ اَللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ اَلتَّقْوَى وَدِرْعُ اَللَّهِ اَلْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ اَلْوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اَللَّهُ ثَوْبَ اَلذُّلِّ وَشَمِلَهُ اَلْبَلَاءُ. وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَاَلْقَمَاءَةِ وَضُرِبَ

عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ وَأُدِيلَ اَلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ اَلْجِهَادِ وَسِيمَ اَلْخَسْفَ وَمُنِعَ اَلنَّصَفَ. أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلاَنًا، وَقُلْتُ لَكُمْ اُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ اَلْغَارَاتُ وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ اَلْأَوْطَانُ))[74]، فأذهان المسلمين قد ثبت فيها معنى الغَزْو الذي لا يكون إلا بمعنى الجهاد في سبيل الله. ونلمس ذلك أيضا في ما ورد من دعاء الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لأهل الثغور، إذ يقول: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ... اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى وَحِزْبُكَ الْأَقْوَى وَحَظُّكَ الْأَوْفَى فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ الْأَمْرَ، وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ... اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَى غَزْوًا، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ... فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْعَابِدِينَ، وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ))[75].

والخلاصة أن النصوص الإسلامية قد هذَّبت مفهوم الغزو من قصد الانتهاب على المستويين الفكري والعملي، فقد جعلت دلالته متوافقة مع دلالة الجهاد في سبيل الله، واستشعار تلك الفكرة لدى الغازي دائما هو ما سينعكس على سلوكه فلا يعتدي على غير عدوه.

المبحث الرابع: لفظة (غَزْو) ومشتقاتها في المنظومة المعرفية والاصطلاحية الإسلامية:

اهتمّ المسلمون بسيرة نبيّهم (صلى الله عليه وآله) فبدأوا بتدوين سيرته العطرة، فظهرت مؤلفات تحمل مصطلح (السّير) –جمعُ سِيرَة–، ولما كانت غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) جزءًا مهما من سيرته المباركة فقد ترادف المصطلح السابق مع مصطلح (المغازي) في عنوانات تلك المدونات، فـ((المقصود بمصطلح "السيرة النبوية" هو ما يتصل بسيدنا المصطفى صلى الله عليه [وآله] وسلم، من حيث الحديث عن نسبه الشريف، ومولده ونشأته، وبعثته، وصفاته، وتصرف أحواله إلى أن لقي ربه راضيًا مرضيًا بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وترك أمته على مثل المحجة البيضاء، فهذا هو الأصل في مصطلح "السيرة النبوية" لكنه قد استعمل أيضًا مضافًا إليه حديث المغازي والحروب التي خاضها الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم، لإعلاء كلمة الله في الأرض، فصار هذان المصطلحان يتعاقبان على موضوع واحد، فكتاب ابن إسحاق يقال له: السيرة، ويقال له: المغازي، وقد جمع بعض المؤلفين المصطلحين في العنوان الذي اختاره لكتابه... على أن هناك بعض الكتب التي تنصرف خالصة إلى السيرة النبوية بمعناها الأصلي الذي ذكرته، وذلك ما عرف بكتب دلائل النبوة، والشمائل، والخصائص))[76].

فالمَغْزَى والمَغْزاةُ والمغازي تدلّ في اللغة على مواضِع الغَزْوِ، وقد تدلّ على الغَزْوِ نَفْسه[77]، ولكن لفظة (المغازي) أصبحت ((تطلق على السيرة النبوية، وأوضح دليل على ذلك أن كتب السيرة الأولى كانت تسمى بالمغازي، مثل مغازي موسى بن عقبة "ت نحو 141هـ"))[78]، ((وموضوع هذه الكتب لا يقتصر على الحملات العسكرية للرسول، بل تتضمن أيضًا تسجيلًا لحياة الرسول بصفة عامة، وهذا ما سمي بعد ذلك باسم "السيرة"))[79].

إذن، فـ((كلمة (المغازي)... كانت تعني من جهة وضعها اللغوي: (الحروب والغزوات)، ثم تخصص معناها فصارت تعني الحروب التي اشترك فيها الرسول وصحابته... ولكن هذا الاسم تدرج في الزمن فاتّسع معناه وشمل تاريخ حياة النبي. ونعلم مما تقدم أن اللفظتين (السيرة) و(المغازي) مستعملتان بمعنى واحد، لا يُفرق بينهما))[80].

ويعلّلُ لنا التهانَوي سبب إطلاق مصطلح المغازي على السيرة، فيقول: ((وسُمِّيت المغازي سِيَرًا؛ لأنَّ أول أمورها السَّيْر الى الغزو))[81].

أمّا علّةُ تسمية سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) بـ(المغازي) فقد أوضحها بعض الباحثين بقوله: ((والمغازي هي السيرة المقصورة على الرسول (صلى الله عليه وآله)، لأن المغازي هي جزء من سيرته (صلى الله عليه وآله). وسميت بالمغازي من باب تسمية الكل بالجزء. وقد يكون مردُّ الترابط بين السيرة والمغازي إلى استمرار فكرة أيام العرب قبل الإسلام؛ لتعلقها بذاكرة المسلمين، فأخذوا يسردون المغازي المتضمنة الحوادث السابقة والتالية))[82].

وعلى أية حال فإن لفظ (المغازي) كان دالًّا على السيرة النبوية المباركة بما تضمنته من أحداث ووقائع وغزوات، وكان اصطلاحًا قارًّا إبان حقبة التدوين الأولى.

ويقال: إن دوام الحال من المحال، إذ لا ثبات ولا جمود في الألفاظ، فكلمة مغازي –مدار بحثنا– تخصّصت مرة أخرى حينما أصبحت عنوانًا لمؤلفات تحمل لفظ المغازي وتدلّ على غزوات الرسول (صلّى الله عليه وآله) على وجه الخصوص، منها كتاب (المغازي) للواقدي (ت 207هـ) فهو ((أول من صنف في علم المغازي على النحو التخصصي الصرف، فسخر كتابه للمغازي فقط ولم يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها في كتابه، فهو بحق وعلى وجه الحق أول من صنف في المغازي على النحو التخصصي البحت، ويُعد كتابه هو العمدة في هذا الفن))[83]، و((تصنيفًا خاصًّا بالمغازي بالمعنى التخصصي البحت، وأورد فيه جُلَّ المرويات المغازية، وعايَن مواقعها))[84].

ويطيب لنا –بعد أن نستميح القارئ الكريم صبرًا– أن نوردَ نصّا من كتاب الواقدي (المغازي) يكون فائدة لنتيجة لاحقة، إذ يقول: ((فكانت مغازي النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم التي غزا بنفسه سبعًا وعشرين غزوة... وكانت السرايا سبعًا وأَرْبعين سريّة))[85]. إذ نلفتُ العناية هنا إلى أن كلمة (بنفسه) الواردة في النصّ أعلاه تنمُّ عن تضييق جديد في الدلالة لمادة غزو، فليس كل قصد للعدو في اصطلاح أهل السيرة النبوية يطلق عليه الغَزْو أو الغَزْوة، بل لا بدّ من أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله) فيه، وأما قصد قتال العدو الذي لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) فيه فلهُ اصطلاح آخر، إذ ((كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بنفسه يسمى غزوة، وما لم يحضره بل أرسل بعضًا من أصحابه إلى العدو يسمى سرية))[86]، فالغَزْو ((بالفتح وسكون الزاء المعجمة لغةً قصد القتال مع العدو... وفي اصطلاح أهل السِّير هو الجيش القاصِد لقتال الكفار الذي كان النبي صلى الله

عليه وآله وسلم فيه. وأمَّا الجيش الذي لم يكن فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسمَّى سرية))[87]، و((السَّريَّة هي طائفةٌ من الجَيش يبلغُ أَقْصَاهَا أربَعمائة تُبْعث إلى العَدوّ، وجمعُها السَّرَايا، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يكونُون خُلاصةَ العسْكر وخيارَهم، مِنَ الشَّيء السَّرِيّ النَّفِيس. وَقِيلَ: سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ ينْفذُون سِرًّا وخُفْية))[88].

ولسنا في صدد مناقشة سبب تسمية السّرية بهذا الاسم، ولكنّ النتيجة المتوخّاة ممّا سبق هي تمييز أهل السّير بين نوعين من قصد قتال العدو، نوع يحضره النبي (صلى الله عليه وآله) فيسمى غَزْوًا أو غَزْوَة، وآخر لم يحضره النبي (صلى الله عليه وآله) ولكنّه كان بأمره فسُمِّيَ سريّةً، على الرغم من اشتراكه مع النوع الأول في قصديّة العدو، وهذا الأمر –بحسب معطيات علم الدلالة[89]– يعني حصر دلالة اللفظة وتضييقها، في طور من أطوار حياتها.

المبحث الخامس: لفظة (غَزْو) ومشتقاتها في الاستعمال الحديث:

تنشأ دلالة الألفاظ في بيئتها، ونعني بذلك أن اللفظة تتأثر ببيئة مستعمليها فتتحمل من الطاقات الدلالية ما يضيفه الاستعمال إليها، فلربما كان اللفظ دالًّا على معنى معيّن في زمن معيّن، لكن استعمال الناس له في معنى آخر غير المعنى الأول تكسبه دلالة جديدة تضاف إلى مجموع دلالاته، ولما كان لفظ بحثنا –غَزْو– له من الحضور في حياة الناس الشيء الكثير، فإننا نجده يتطور مع الاستعمال، وتضاف لمعانيه معانٍ جديدة (أو لنَقُلْ: سمات جديدة) لم تكن لتوجد من قبل.

وخير شاهدٍ على ذلك ما تسجّله المعجمات الحديثة من دلالة للفعل (غَزَا) ومشتقاته، جاء في المعجم الوسيط: ((غَزَا العدوَّ غَزْوًا، وغَزَوَانًا: سار إلى قتالهم وانتِهابهم في ديارهم))[90]، ويقول صاحب معجم متن اللغة: ((وغزا– غَزْوًا وغَزَوانًا وغزاوة العدوَّ: سار إلى قتاله وانتهابه في بلاده))[91]، والعبارتان (في ديارهم) و(بلاده) إضافات على معنى الغَزْو كانت وليدة العصر الحديث، فاللفظة ((بعد أن كانت في العصور الأولى تقتصر على وصف المعارك مع المشركين والكفار[92] أصبحت تطلق على انتهاك البلدان ونهب خيراتها، لاسيّما ما حلَّ بالمسلمين بعد ما ضعفت دولتهم وهجمت عليهم الأقوام الأخرى، وأصبحت دلالة لفظة (غزوة) ذات مدلول سلبي بتغير الظروف السياسية والاجتماعية للمسلمين))[93].

لقد ((كان كثير من غزاوت الرسول (صلى الله عليه وآله) خارج أوطان الأعداء، بل وبعضها في أوطان المسلمين مثل الخندق ومع ذلك تسمى غزوة))[94]، ولكنّ كلمة (غَزْو) ((أصبحت منذ عهد تدل على قتال العدو في وطنه بقصد انتهابه وسلب خيراته. فآلت هذه اللفظة في العصر الحديث إلى الدلالة على المفهوم الأخير الذي أصبح شائعا في هذا العصر، وأصبح للغزو أشكال وأنواع كلها ذات دلالة سلبية يرافقها الدمار والخراب))[95]، منها الغزو الثقافي الذي يهدف إلى إحلال ثقافة البلد الغازي بدل ثقافة البلد المغزو، و((اجتثاث أصول الثقافة المغزوَّة والقضاء عليها))[96]، ومنها الغزو اللغوي الذي يعمل على إحلال لغة الغزاة محل اللغة الأصلية، ومنها الغزو الفكري الذي يسعى إلى استعمار العقول بدل استعمار الأراضي[97].

وهنا يطيب لنا أن نضع بين يدي القارئ الكريم ملحوظتين. أولاهما: التقييد اللغوي لأنواع الغزو وأشكاله غير العسكرية، فالتصاحب اللفظي والتلازم النطقي واضح في المصطلحات السابقة: (الغزو الثقافي، الغزو اللغوي، الغزو الفكري)، إما الإطلاق في اللفظ وعدم تقييده، فهو مما يحيلنا في الدلالة على الغزو العسكري لا غير.

وثانيهما: اشتراك جميع أنواع الغزو في الدلالة الالتزامية، فالغزو (العسكري) يستلزم وجود قوة عسكرية غازية، والغزو الثقافي يستلزم وجود قوة للثقافة الغازية، والغزو اللغوي يستلزم وجود قوة للغة الغازية، وهكذا. وهذا الأمر يفسّر لنا سبب إطلاق مصطلح الغزو على هذه الأعمال؛ وذلك بحكم علاقة المشابهة التي هي واحدة من علائق انتقال الدلالة، فقد ينتقل ((اللفظ من معناه إلى معنى مشابه له أو قريب منه أو بينه وبينه مناسبة))[98].

وبحكم علاقة المشابهة أيضا نستطيع تفسير بعض الاستعمالات الحديثة لكلمة (غَزْو) أو إحدى مشتقاتها مِن مِثْلِ ما جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة)، إذ ورد فيه: ((غزتِ البضائعُ الأسواقَ: تكاثَرَتْ وتدفَّقت))[99]، فالكثرة سمة مميزة للبضائع حتّى عُدّت غازية للأسواق، وهي – أعني الكثرة– من لوازم الغزو الذي يكثر فيه عدد الأفراد من الغُزاة.

الخاتمة:

بعد هذا الرّصد اللّغوي لتاريخ حياة لفظة (غَزْو) ومشتقاتها، يمكن إجمال أهمّ النتائج التي ظهرت للباحث بما يأتي:

- بدأت اللفظة رحلة حياتها بالدّلالة على أمر حسّيٍ تمثّل في حمل السلاح والإغارة، ثم لم تلبث أن انتقلت لتدلّ على معنى مجرّد تمثّل في الفخر والتفاخر وتعداد المناقب، والدّلالة الأخيرة دلالة سامية في نظر أبناء المجتمع العربيّ القديم.
- شهدت اللفظة تحوّلًا دلاليّا آخر حينما استعملت للدّلالة على مقاصد الكلام ومعانيه، وهو انتقال معنويّ ينمُّ عن الرقيّ الثقافيّ والفكريّ لمستعملي اللّغة.
- اختلفت أفهام المفسرين لدلالة كلمة (غُزًّى)، فمنهم مَن قيّدها بـ(قصد العدو) من دون إضافة، ومنهم مَن أضاف إلى ذلك ما يصاحب قصد العدو من الغنيمة، وبالتأمّل والدّليل رجح لدى الباحث الفهم الأول.
- حرصت النّصوص الإسلاميّة على تخصيص دلالة (الغَزْو)؛ لذا نجد أغلبها يقيّد اللفظ ومشتقاته بقيد (سبيل الله)، وهي بذلك تُبعِد الدلالةَ المصاحبةَ للغزو (السلب والغنيمة والانتهاب)، حتّى إذا ما استقرّت الأذهان على الفهم الجديد صدرتْ بعد ذلك نصوصٌ تاركة ذلك القيد.

- انتقلت لفظة غزو ومشتقاتها (ولا سيما المغازي) من مجالها اللّغوي إلى المجال الاصطلاحي، وتعرّضت في المجال الأخير إلى مجموعة من التحوّلات الدّلاليّة، ما بين اتّساعٍ وتضييقٍ إلى الحدّ الذي استقرّ بها المقام في الدّلالة على الجيش القاصد العدو الذي يحضره النبيّ (صلى الله عليه وآله) بنفسه.
- أصاب لفظةَ غزو ومشتقاتها في العصر الحديث انحطاطٌ في الدّلالة، جاء مع تغيّر ظروف استعمال اللّفظ السّياسيّة والاجتماعيّة، وأصبحت اللّفظة جرّاء ذلك ذات إيحاءات سلبيّة، ولا سيما مع استعمالها في مجالات أخرى.

الهوامش:

1. ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك: 207.
2. اللسانيات وأسسها المعرفية: د. عبد السلام المسدي: 38.
3. التطور اللغوي التاريخي: د. إبراهيم السامرائي: 29.
4. في علم الدلالة– دراسة تطبيقية في شرح الأنباريّ للمفضّليات: د. عبد الكريم محمد حسن جبل: 33.
5. فقه اللغة وخصائص العربية: 207.
6. ينظر: علم الدلالة– دراسة نظرية وتطبيقية: د. فريد عوض حيدر: 71.
7. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
8. علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: 245.
9. علم الدلالة في المعجم العربي: د. عبد القادر سلامي: 70.
10. علم الدلالة– دراسة نظرية وتطبيقية: د. فريد عوض حيدر: 76.
11. ينظر: دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس: 155.
12. ينظر: المرجع نفسه: 160.
13. علم الدلالة العربي –النظرية والتطبيق– دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: د. فايز الداية: 314.
14. ينظر: في علم الدلالة– دراسة تطبيقية في شرح الأنباريّ للمفضّليات: 242.
15. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: د. هادي نهر: 620.
16. علم الدلالة في المعجم العربي: 81.
17. دراسة المعنى عند الأصوليين: د. طاهر سليمان حمودة: 191.

18. ينظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: 249.

19. ينظر: علم الدلالة– دراسة نظرية وتطبيقية: د. فريد عوض حيدر: 85.

20. علم اللغة بين القديم والحديث: د. عبد الغفار حامد هلال: 234.

21. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر: 2/ 1616– 1617.

22. تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيدي: 13/ 251، (شقق).

23. الكلّيات– معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء الكفوي: 117.

24. يعدّ ابن جنّيّ أبرز اللغويين الذين اهتموا بهذا النوع من الاشتقاق، إذ تعهّده بالتعريف والبيان والأمثلة فقال: ((وأمَّا الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنًى واحدًا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد... فمن ذلك تقليب (ج ب ر) فهي –أين وقعت– للقوة والشدة، منها: (جبرت العظم، والفقير) إذا قوَّيتهما وشدَدْت منهما... ومنها: (رجل مجرَّب) إذا جرَّستْه الأمورُ ونجّذَته، فقويت مُنَّته واشتدَّت شكِيمته. ومنه الجِرَاب؛ لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حُفظ الشيء وروعي اشتدَّ وقوي، وإذا أُغفل وأُهمل تساقط ورَذِيَ. ومنها: (الأبجر والبُجْرة) وهو القويّ السُرَّة... ومنه البُرْج لقوته في نفسه وقوّة ما يليه به... ومنها رجَّبت الرجل إذا عظَّمته وقوَّيت أمره، ومنه رَجَب لتعظيمهم إيّاه عن القتال فِيه... ومنها الرَبَاجيّ وهو الرجُل يفخر بأكثر من فعله... تأويله أنه يعظِّم نفسه ويقوّي أمره)). الخصائص: 2/ 134– 136.

25. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي: 1/ 275.

26. الخصائص: 2/ 133– 134.

27. دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح: 176.

28. ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: 70.

29. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: 4/ 423، (غزو).

30. وهو ((ساعدة بن جؤية الهذلي، من بني كعب بن كاهل، من سعد هذيل: شاعر، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. أسلم، وليست له صحبة. قال الآمدي: شعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة. له ديوان شعر)). الأعلام: خير الدين الزركلي: ٣/ ٧٠. والغاية من إيراد ترجمة الشاعر بيان العصر الذي عاش فيه، ومن ثَمَّ بيان زمان استعمال اللفظ، ودلالة اللفظ حينئذ.

31. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده: 6/ 38، (غ ز و).

32. ينظر: كتاب شرح أشعار الهُذليّين: أبو سعيد الحسن بن الحسين السّكّريّ: 3/ 1182، وشعر ساعدة بن جُؤيَّة الهُذليّ – دراسة وتحقيق: ميساء قتلان: 216.

33. العوامل المؤثرة في صلات القبائل العربية مع بعضها قبل الإسلام: د. زينب فاضل مرجان، وحيدر عامر هاشم صباح

السلطاني: 132، وينظر: صفحات مطوية من تاريخ عرب الجاهلية: د. منذر معاليقي: 56.

34. قبيلة هُذيل وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام: د. بشرى جعفر أحمد: 132.

35. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي: 5/ 333.

36. وهو رجل من هذيل يدعى: (الحَشْر). و(الغَزَاوَة) من (الغَزْو)، والمعنى: ليس عنده غَزْوٌ. ينظر: كتاب شرح أشعار الهُذليّين: 2/ 799.

37. لسان العرب: ابن منظور: 15/ 123، (غزا).

38. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي: 20/ 423.

39. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 7/ 287– 288.

40. عوامل التطور اللغوي– دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية: د. أحمد عبد الرحمن حمّاد: 137.

41. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: 4/ 434، (غزو).

42. أبو بصير ميمون بن قيس الملقب بالأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. ينظر: الأعلام: 7/ 341.

43. هكذا هي الكلمة في المصدر، وفي ديوان الشاعر: (جَاشِم). ينظر: ديوان الأعشى الكبير: 91.

44. لسان العرب: 15/ 124، (غزا).

45. ديوان الأعشى الكبير: 90.

46. ينظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: 238.

47. جمهرة اللغة: ابن دريد: 3/ 820، (غزو).

48. كتاب العين: 4/ 434، (غزو).

49. لسان العرب: 15/ 123، (غزا).

50. ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي: 498.

51. مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: 606، (غزا).

52. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: 2/ 340.

53. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين الرازي: 9/ 400.

54. المصدر نفسه: 9/ 401.

55. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري: 6/ 427.

56. مجمع البيان في تفسير القرآن: 2/ 340.

57. مفردات ألفاظ القرآن: 606، (غزا).

58. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي: 97/ 8.

59. المصدر نفسه: 13/ 359.

60. المصدر نفسه: 13/ 135، وقريب من ذلك أيضا ما ورد عن ((رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لما دعا موسى وهارون ربهما قال الله: قد أجبت دعوتكما، ومن غزا في سبيلي أستجيب له كما استجبت لكما إلى يوم القيامة)). المصدر نفسه: 97/ 50.

61. المصدر نفسه: 97/ 50.

62. مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل: 16/ 446.

63. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري: 3/ 1045.

64. أَغْزَاه: بعثه إلى الغَزْوِ. ينظر: كتاب العين: 4/ 434، (غزو).

65. بحار الأنوار: 67/ 212.

66. مسند أحمد: 37/ 365.

67. غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسراياه في سبيل الله: د. عبد الجبار ناجي الياسري: 15.

68. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: 3/ 365، (غزا).

69. غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسراياه: 27.

70. وَتِغَ يَوْتَغُ وتَغًا: فسَدَ وهلَكَ وأَثِمَ. لسان العرب: 8/ 458، (وتغ).

71. السيرة النبوية: ابن هشام: 2/ 143- 146.

72. ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: عودة خليل أبو عودة: 183.

73. مسند أحمد: 36/ 15. وفي إحصائية سريعة قام بها الباحث وجد فيها أنّ نسبة الأحاديث التي ذُكِرَ فيها قيدُ (في سبيل الله) أكثر بكثير من الأحاديث التي لم يُذْكَر فيها هذا القيد.

74. نهج البلاغة: شرح: محمد عبده: 1/ 67- 68.

75. الصحيفة السجادية: 597- 603.

76. الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم: د. محمود محمد الطناحي: 42- 43.

77. ينظر: لسان العرب: 15/ 124، (غزا).

78. مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين: د. عطية مختار عطية حسين: 7.

79. تاريخ التراث العربي: د. فؤاد سزكين: المجلد الأول: 2/ 19.

80. القانون الدولي الإسلامي (علم السير)- مفهومه، تدوينه، خصائصه: عثمان جمعة ضميرية: 24.

81. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي: 1/ 998.

82. سرديّة النصّ السّيريّ: د. غانم حميد الزبيدي: 23.

83. أول من صنف في علم المغازي والسير: د. معتز أحمد رفاعي زارع، مقالة منشورة بتاريخ: 2019/9/29 ميلادي - 1441/1/29 هجري، على موقع شبكة الألوكة على الرابط: www.alukah.net.

84. المرجع السابق نفسه.

85. كتاب المغازي: الواقدي: 1/ ٧.

86. مرويات الإمام الزهري في المغازي: د. محمد بن محمد العواجي: 38/1.

87. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/ 1253. وينظر: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية): أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي: 3/ 134.

88. النهاية في غريب الحديث والأثر: 2/ 363، (سرى).

89. ينظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: 245.

90. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: 652، (غزا).

91. معجم متن اللغة- موسوعة لغوية حديثة: أحمد رضا: 4/ 292. ونودّ أن نلفت ذهن القارئ الكريم إلى أمرين اثنين: أولهما: تذييل عنوان المعجم بعبارة (موسوعة لغوية حديثة)، وثانيهما: سبب تأليف المعجم، إذ جاء في المقدمة سردٌ لمحاولات إحياء التراث اللغوي العربي، وهذه المحاولات ((قد دفعت المجمع العلمي العربي بدمشق إلى تكليف المغفور له العلامة الشيخ أحمد رضا خلال سنة 1930م (1349هـ) العمل على إعداد معجم مطول يجمع فيه ما تناثر من جواهر العربية في بطون المطولات اللغوية القديمة، وإلحاق ما استحدث من الألفاظ والمصطلحات به))، معجم متن اللغة: 1/ 6. وهذان الأمران يؤكدان ما ذهبنا إليه من وجود إضافات على معنى الغَزْو كانت وليدة العصر الحديث، وهذه الإضافات سجلتها المعجمات الحديثة بحسب ما أَلِفَتْهُ من استعمال الناس لها.

92. وقد تقدم رأينا في مسألة أن الغزو يستلزم كفر المغزوّ، فما من حاجة إلى تكراره هنا.

93. غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسراياه: 17.

94. المرجع نفسه: 27.

95. المرجع نفسه: 18.

96. التبادل الثقافي والغزو الثقافي: علي آل موسى: 93.

97. ينظر: الغزو الفكري– أهدافه ووسائله: د. عبد الصبور مرزوق: 6.

98. فقه اللغة وخصائص العربية: 220.

99. معجم اللغة العربية المعاصرة: 2/ 1616.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الأعلام– قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.
- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت1044هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ.
- أول من صنف في علم المغازي والسير، د. معتز أحمد رفاعي زارع، مقالة منشورة بتاريخ: 29/ 9/ 2019ميلادي– 29/ 1/ 1441هجري على موقع شبكة الألوكة على الرابط: www.alukah.net.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، الجزء الثالث عشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ– 1983م. الجزء السابع والتسعون، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ– 1983م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت1205هـ)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1414هـ.
- تاريخ التراث العربي، د. فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1411هـ– 1991م.
- التبادل الثقافي والغزو الثقافي، علي آل موسى، البصائر– مجلة إسلامية فكرية، يصدرها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم (عج)، لبنان، بيروت، العدد 32، السنة الخامسة عشرة، صيف 1425هـ– 2004م.

- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم– دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1405هـ– 1985م.
- التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السامرائي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1401هـ– 1981م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ الرازيّ الملقب بفخر الدين الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ)، حققه وقدّم له: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952م.
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 2004م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1967م.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م.
- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق: د. محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1950م.
- سرديّة النصّ السّيريّ– سيرة ابن هشام: بناء الأخبار والموقع الثقافي، د. غانم حميد الزبيدي، الناشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة– مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات– دار الرسول الأعظم، كربلاء، العراق، ط1، 1441هـ– 2020م.
- السيرة النبوية، ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت 218هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، مصر، 1383هـ– 1963م.
- شعر ساعدة بن جُؤيَّة الهُذليّ– دراسة وتحقيق، ميساء قتلان، رسالة ماجستير، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة دمشق، 1424هـ– 2003م.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت256هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ– 1987م.
- الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط3، 1435هـ– 2014م.
- صفحات مطوية من تاريخ عرب الجاهلية، د. منذر معاليقي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1995م.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1988م.

- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1427هـ-2007م.
- علم الدلالة- دراسة نظرية وتطبيقية، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، ط1، 1426هـ- 2005م.
- علم الدلالة العربي -النظرية والتطبيق- دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، د. فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1417هـ- 1996م.
- علم الدلالة في المعجم العربي، د. عبد القادر سلامي، دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م.
- علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي، مصر، ط2، 1406هـ-1986م.
- عوامل التطور اللغوي- دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، د. أحمد عبد الرحمن حمّاد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م.
- العوامل المؤثرة في صلات القبائل العربية مع بعضها قبل الإسلام، د. زينب فاضل مرجان، وحيدر عامر هاشم صباح السلطاني، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد/ 9، أيلول/ 2012م.
- غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسراياه في سبيل الله، د. عبد الجبار ناجي الياسري، الناشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة- مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات- دار الرسول الأعظم، كربلاء، العراق، ط1، 1441هـ-2020م.
- الغزو الفكري- أهدافه ووسائله، د. عبد الصبور مرزوق، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، المملكة العربية السعودية، د. ط، 2001م.
- فقه اللغة وخصائص العربية- دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972م.
- في علم الدلالة- دراسة تطبيقية في شرح الأنباريّ للمفضّليات، د. عبد الكريم محمد حسن جبل، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 1997م.
- القانون الدولي الإسلامي (علم السير)- مفهومه، تدوينه، خصائصه، عثمان جمعة ضميرية، مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي، السنة: 11، العدد 101، محرم- 1417هـ، يونيو- 1996م.
- قبيلة هُذيل وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام، د. بشرى جعفر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1437هـ- 2016م.
- كتاب شرح أشعار الهُذليّين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، 1384هـ- 1965م.

- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ- 1988م.
- كتاب المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي (ت207هـ)، تحقيق: د. مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط3، 1409هـ- 1989م.
- الكلّيات- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت1094هـ)، قابلهُ على نسخة خطّية وأعدّه للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ- 1998م.
- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم الأفريقي المصري (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، (د. ت).
- اللسانيات وأسسها المعرفية، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر- تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، المطبعة العربية- تونس، د. ط، 1986م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت548هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ- 2005م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت 458هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ- 2000م.
- مرويات الإمام الزهري في المغازي، د. محمد بن محمد العواجي، إصدارات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1425هـ- 2004م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م.
- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ- 1999م.
- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، د. عطية مختار عطية حسين، بحث مقدم إلى جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنّة النبوية والدراسات المعاصرة، الدورة الثالثة، 1427هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ- 2008م.
- معجم متن اللغة- موسوعة لغوية حديثة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، 1377هـ- 1958م. الجزء الرابع، 1379هـ- 1960م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ- 1945.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ- 1979م.

- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ- 2004م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت في حدود 425هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- دمشق، الدار الشّاميّة- بيروت، ط4، 1430هـ- 2009م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط2، 1413هـ- 1993م.
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت1414هـ)، منشورات دار التفسير، قُم، ط5، 1431هـ- 2010م.
- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ- 1985م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، الترجمة الفارسية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت1981م)، صحَّحه وأشرف على طباعته: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ- 1997م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ- 1979م.
- نهج البلاغة (وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، شرح: محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).